

حقوق المرأة "النسخة الأصلية"



أحمد المعلم

<http://facebook.ahmedzuher.de>

19 من 20، تقييم مثالي لتلميذ انتحر قلمه الرصاص دعكا بورقة الحصار السمراء المخصصة لامتحانات الثالث المتوسط. ورقة اغتصبها من منتصف دفتر جديد اشترته أمه له، بدل كيس من طحين أبيض هنا أو حصيرة أو ربما قميص حرير كشميري تدلل به أنوثتها هناك. كتب كل ما يحفظ من كتاب التربية الوطنية من إنشاء وعبارات منمقة، لم يكن ليفهم معناها عن "حقوق المرأة".

"المرأة نصف المجتمع." كتب بإصرار كسر قلمه الرصاص، فاستعان بمبراته الرديئة، ثم أردف: " لا يمكن بناء مجتمع سوي دون أن تتدخل المرأة في بنائه، فكيف بالرجل أن يبنيه لوحده دون نصفه الآخر."

تدخل عاملة النظافة لتخبر الأستاذ المراقب رسالة من المدير، ينظر إليها الأستاذ بفوقية ويعلي صوته بنبرة استعلائية: " روعي ام محمد ماتشوفين عندي امتحان."

يكمل التلميذ انشاءه: " وقد كان للإسلام دور كبير في صيانة المرأة التي كانت تدفن قبل الإسلام، فهذه السيدة خديجة التي جعلها الإسلام تعمل في التجارة، وهذه السيدة عائشة وتلك السيدة فاطمة وهناك تشمخ السيدة زينب في دمشق. " يستذكر جاراته التي كتبت تقريرا يفترى على أمه أنها كانت ضد يوم الزحف الكبير. يستعين بمحاثه القديمة الممتلئة بالسواد ويحاول حك الورقة المتهاكلة ليخفي اسم زينب ودمشق. ثم يردف: " ولقد كانت ثورة البعث المجيدة مثالا راقيا لمنح حقوق المرأة فلنا في سيدات البعث اللاتي وقفن في جبهات القتال دورا بارزا للنصر المؤزر الذي حققه العراق ضد الفرس والأمريكان بقيادة القائد العظيم السيد الرئيس مهيب الركن حفظه الله ورعاه. " ثم يكمل: " وفي العصر الديمقراطي للعراق الجديد فقد كان للمرأة دور عظيم في البرلمان العراقي الجديد وحكوماته المتعاقبة من علاويها وجعفريةا ومالكيةا وعباديةا و..... " يستذكر أنه يكتب إنشاءه في التسعينات فيستعين بمحاثه المتهاكلة لحك الورقة المتهاكلة السوداء.

يخرج من صفه القديم البائس حاملا ورقة امتحانه راكضا لأمه ليخبرها بالخبر السعيد الخاص بدرجته. تبتسم الأم وتخبره أن ينتظر بينما تنتهي من خياطة العباة الخاصة بجارتها أم عدنان قبل أن تسخن له الغداء. يستنكر ذلك بصوت عال. تقول له أنه عليه الانتظار فهذا رزقه وسياكله.

لم يفهم الا بعد عشرين سنة. فلولا عباة أم عدنان كيف كان به أن يأكل الغداء أو العشاء. مقتنعا بمبادئ الاشتراكية فيما يخص المرأة العاملة القوية يطلب من أمه أن لا تخرج مساء الى أم عدنان لأن أصدقاءه يتنازرون عليه بلقب "ابن الخياطة".

يرن جرس المنزل، فيسمع قهقهة أم محمد "الخيازة" من وراء الباب. يتناقل عن فتح الباب راجعا لأمه طالبا منها أن تفتح الباب. لم يكن ليعلم أن خبز ام محمد الشهوي هو ما يبقية حيا وقويا. بفخر يجلس وحيدا في غرفته ليقرأ نجاحه المبهير في ورقة الإنشاء. بفخر وأعجاب يعيد قراءة كلمة "ممتاز" التي لا يكتبها الأستاذ الذي استعلى على عاملة التنظيف الا حين يعجب بجملة أو انشاء رائع. يقرأ جملة له من إنشائه عن المرأة العاملة والمرأة الفلاحة. تعجبه نفسه، يصفق لها. يخرج ليشاكس بنت الجيران التي تبتسم له فتمنحه السعادة. يدس رقم منزله الثابت بين دفتر جديد طلبه من أمه فتأخذه على الفور. يطير فرحا. يكبر فيتزوج امرأة يختارها له أبوه. فهو أعلم بمصلحته. يتزوجها ليبحت عن غيرها، بما يشير اليه قلبه.

يجلدها بسوط اللامبالاة وعدم الاهتمام. جلدها بعنف استماتته الانشائية المدافعة عن حقوقها. يفتح التواصل الاجتماعي ليستنكر حرق امرأة لنفسها لأنه أمر مناف لحقوق المرأة.